



دراسة مراجعة

استلهام رواية "دون كيخوته" في فنون الكتاب خلال القرن السابع عشر.

* منه الله صابر محمود عطية

* الدارسة بمرحلة الماجستير، بقسم الجرافيك، شعبة فن كتاب ورسوم متحركة، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان.

البريد الإلكتروني: mennasabermahmoud@gmail.com

تاريخ المقال:

- تاريخ تسليم البحث الكامل للمجلة: 23 فبراير 2021
- تاريخ القرار الأول لهيئة التحرير: 15 مارس 2021
- تاريخ تسليم النسخة المنقحة: 11 يوليو 2021
- تاريخ موافقة هيئة التحرير على النشر: 12 يوليو 2021

الملخص:

تعتبر رواية دون كيخوته دي لا مانتشا من روائع الأدب الإسباني، والتي أظهرت تأثيراً كبيراً على الأعمال الروائية الأوروبية التي تلتها في وقت لاحق، وقد تجاوز تأثير شخصيتها الأدبية حدودها النصية، وفتحت ميدان الإلهام لكثير من الفنانين التشكيليين وخاصة فناني الكتاب منذ اللحظة الأولى من نشرها، فقد حاول الرسامون إعادة إنتاج كل من الشخصيات وبعض المشاهد الأكثر رمزية في الرواية، فتعتبر الرواية كلاً من الأفكار والقيم مصاغة في صور فنية مذهلة. وللرسوم التوضيحية دور هام في إثراء النص الأدبي ، لذا كان من الضروري دراسة هذه الرسوم بطريقة مفصلة وتناول الخطوات الأولى لظهورها وتتبع التطور الذي طرأ عليها خلال القرن السابع عشر ، ففي البداية مدخلاً تاريخياً عن الرواية ومؤلفها ميغيل دي ثرانتس وعن اتساع مدى وأثر الرواية على أعمال مختلفة لاحقة عليها، ثم يتناول البحث الرسوم التوضيحية خلال القرن السابع عشر ويستعرض رسم شخصيات الرواية في أعمال فناني الباروك على اختلاف توجهاتهم وأساليبهم، ودور هذه الرسوم في خلق إبداع مواز للنص الأدبي داخل الطبقات والترجمات الأولى للرواية.

الكلمات المفتاحية: الأدب الإسباني، القرن الذهبي، ميغيل دي ثرانتس، دون كيخوته، القرن السابع عشر، رسوم توضيحية.

مقدمة:

تم إحياء أوائل القرن السابع عشر بشكل كبير من خلال رائعة أدبية، كانت من صنع ميغيل دي ثرانتس سافيدرا Miguel de Cervantes، وظهرت في الرواية الأكثر قراءة على نطاق واسع في العالم وهي "العسكري النبيل دون كيخوته دي لامانتشا". عام 1584 كتب ثرانتس يقول ما أكثر العباقرة الملهمين الذين يعيشون اليوم في وطننا إسبانيا وأغلب الظن أنه هو، دون سواه الذي عرف أنه أعظمهم، ولم يكن بعد قد شرع في تأليف "دون كيخوته" 1604 فحين وافى هذا التاريخ فيما بعد كان "القرن الذهبي" 1560-1660 قد بلغ شأوه وتألّق بكل ازدهاره ومجده. (ديورانت، 1992م، ص111)، انتشر مصطلح القرن الذهبي ليشمل كل الفترة الكلاسيكية أو أوج الثقافة الإسبانية وعلى وجه الخصوص عصر النهضة في القرن السادس عشر وعصر الباروك في القرن السابع عشر، ويرجع سبب هذه التسمية إلى الحركة الأدبية فقد ازدهرت فيها وصارت أبرز معالمها، تم إطلاق هذه التسمية تحديداً علي النصف الثاني من القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر، وجنباً إلى جنب، ظهر أيضاً ازدهار الفنون الأخرى كالرسم والموسيقى مع بزوغ حركات فكرية وإنسانية؛ إلا أنه في الوقت ذاته، كان الأدب بجنسية الشعر والنثر في مقدمة عصر النهضة حيث ترك أعمالاً رائدة وتأسيسية ثابتة لكل ما جاء بعدها من التيارات الأدبية على الصعيدين الإسباني والعالمي، و بروز أدباء مميزين في تلك المرحلة لم يسبق وأن ظهر بمثل مستواهم من قبل وهذا ما حدث في إسبانيا التي ما زالت تدين بهويتها الثقافية لأدبائها في هذه الفترة، إن الأدب الإسباني كثير الغنى بأسمائه الكبيرة ومؤلفاته الأكثر تمثيلاً، فإنه واحد من أغنى الآداب الأوروبية وأكثرها تنوعاً، وحافظت إسبانيا على لغتها رغم تتابع موجات الفاتحين وقد كتبت معظم الأعمال الأدبية الإسبانية باللغة القشتالية ومن أبرز هؤلاء الأسماء الرائد الأدبي ميغيل دي ثرانتس.

إن حياة ميغيل دي ثرانتس سافدرا (1547- 1616) التي بدأت منذ نشأته في قلعة هيناريس بإسبانيا كانت نضالاً طويلاً متصلاً ضد الضيق والشدائد والديون والفقر والحظ العاثر المطبق، عمل صيباً عند أحد الكرادلة، ثم رحل إلى إيطاليا لأسباب اختلف فيها، فزعم البعض أنه هرب إلى إيطاليا خوفاً من توقيع العقاب عليه بسبب مبارزة بينه وبين شخص يدعى أنطونيو دي سيجورا ويقال إنه حكم عليه بالنفي، ثم التحق بالقطعات الإسبانية العاملة هناك، ثم عمل بحاراً في الأسطول الإسباني وفقد يده في معركة

ليبانو مع الأتراك، وفي طريق عودته إلى بلده أسره القراصنة الجزائريون هو أخيه رودريجو، وظل في الأسر خمس سنوات عاد بعدها إلى إسبانيا ليواجه الفقر، لكن ما لبث وان ألتحق بالأسطول الإسباني، ومن جديد لاحقه سوء الطالع إذ زج في السجن مدة عامين بسبب اضعافه بعض المال، وهناك ومن وراء سجن إشبيلية ومضت فكرة دون كيخوته في ذهن ثرانتس، كان ثرانتس أول من ابتدع روايات الفروسية، وهو بدوره ما أسهم في ريبادته الأدبية. (مرعي، 1996م، ص132). ويمكن أن نقول ان كان الهدف الأول والرئيسي من تأليف ثرانتس لدون كيخوته هو السخرية من قصص الفروسية التي انتشرت انتشاراً هائلاً في إسبانيا في ذلك العصر وكان لها ضحاياها، هدف تحطيم ما وضعته هذه الكتب من تأثير وسلطان عند الناس، سيكون الدافع الثاني هو حياته حياة التشرد والتجوال والظروف السياسية، فتكون دون كيخوته هي مرآة للعصر بكل مخازيه الاجتماعية والسياسية والإدارية، ومن الممكن قراءة هذا المعنى فيه لأن الحروب والهدنات والانتصارات في عصره كانت وهمية (smith, 1975, p.198)، ولذلك الرجل الأدبي هو نتاج مجتمعه بقدر ما هو فنه نتاج رد فعله على الحياة، حتى أعظم الفنانين يكون أحياناً مدافعاً واعياً، وأحياناً غير واعٍ لروحه الزمنية. إن روح الوقت هي النتيجة الإجمالية، والتراكم الجوهري لجميع التغييرات السياسية والاجتماعية والدينية والعلمية لعصر معين. لذلك، لا يمكن تجاهل الجانب التاريخي للأدب، سواء كان ثانوياً أو غير مهم، على الرغم من أنه قد يكون لغرض جمالي. وهكذا، يعكس الأدب روح العصر أو روح الزمن.

رواية دون كيخوته ذروة الفن السردي كان أول نجاح أدبي حقيقي لميغيل، والذي بدأ عندما كان يبلغ من العمر 56 عاماً وانتهى عندما كان عمره 58 عاماً. أصبح الكتاب الأكثر قراءة على نطاق واسع في إسبانيا، وحتى في العالم الجديد، ظهر الجزء الأول عام 1605م بعنوان "النبيل البارع دون كيخوته دي لامانتشا"، وبعد عشر سنوات في عام 1615م، ظهر الجزء الثاني من الرواية بعنوان "العسكري الفارس دون كيخوته دي لامانتشا" وكرر نجاح الجزء الأول، في مقدمته يعبر عن رغبته في أن يكون هذا الكتاب كثرمة للتفاهم ويكون الأكثر جمالاً والأكثر شجاعة ورسالة يمكن أن يتخيلها الناس، وتحولت هذه الرغبة إلى واقع، تجسد دون كيخوته للمثال وللقيم المجردة، والتي تمثل صراع متصل بين جانبيين وهما الجانب المثالي من الوجود والجانب الواقعي؛ فهي قصة الوجود نفسه بقطبيه المتنافرين المتصارعين المتنازعين.

صديقه الفلاح سانشو بانزا الذي أفنعه بالسفر معه في مغامراته فليس من قليل العبث أن اختار ثريانتس أولهما من أوساط الاقطاعيين الإسبان الذين ينتمي اليهم الكاتب نفسه ، واختار الثاني من أوساط الفلاحين والذين كانوا يشكلون الكتلة الأساسية من سكان إسبانيا وقتها ، ان صورتني دون كيخوته وسانشو بانزا اللتين تحلمان عبثاً اجتماعياً ضخماً كانتا بالنسبة الى ثريانتس إمكانات هائلة العمق والاتساع فعلى شفتي الفارس ومن خلال قناع جنونه أطلق ثريانتس كل دروس السمو الأخلاقي والحكمة السياسية والنزاهة التي أراد قولها لمعاصريه وأضاف ثريانتس الى تلك الدروس خبرته الحياتية الفنية وكنوز ثقافته الروحية التي جمعت جمعاً منسجماً بين الماضي والتراث القومي الاسباني وبين أفضل منجزات النهضة الإيطالية والتي تعايشت فيها ثمار الفلسفة الشرقية والعربية مع أفكار عصر النهضة تعايشاً رائع الانسجام . (مرعي، 1996م، ص135)، وقد اتسع مدى وأثر دون كيخوته وذلك يرجع الى اكتمال صورتني شخصيات أبطالها فنياً، وبسبب كونها كتلاً من الأفكار والقيم مصاغة في صور فنية مذهلة.

منهجية الدراسة:

(أولاً): الإطار الزمني للدراسات المرتبطة:

تقوم الباحثة بتطيل الأعمال خلال القرن السابع عشر الميلادي.

(ثانياً): الإطار الجغرافي للدراسات المرتبطة:

تقوم الباحثة بتحليل أعمال الفنانين في أوروبا، بالإضافة الى التطرق لبعض المناطق الجغرافية ذات الصلة بموضوع البحث، وفقاً لما تتطلبه الضرورة.

(ثالثاً): المنهجية المتبعة في تصنيف وتحليل تلك الدراسات

المرتبطة:

تتبع الباحثة المنهج التاريخي التحليلي، التاريخي من خلال عرض سرد الدراسات المرتبطة بالموضوع سواء من جانب نظري، أو تحليلي في تناول الباحثة من خلال عرض ما تناولته الدراسة وذلك فيما يلي:

- دراسة تحليلية لطبعات وترجمات الرواية الأولى وربطها وتفسيرها بشكل يوضح الرابط بين النص الأدبي والرسم التوضيحي.

- دراسة تفصيلية لأعمال الفنانين الذين صوروا دون كيخوته في أعمالهم الفنية خلال القرن السابع عشر.

- دراسة تحليلية للتفسيرات والترجمات الأدبية الاولى للرواية ومدى تأثيرها واختلافها على الأعمال الفنية.

برهنت رواية دون كيخوته على بداية الواقعية الأدبية وبداية انطلاق النوع الأدبي للرواية الحديثة المسمى بالرواية متعددة الألقان، والتي أظهرت تأثيراً كبيراً على الأعمال الروائية الأوروبية التي تلتها في وقت لاحق، وهي سمة من سمات السرد القصصي الذي يفسر الواقع من عدة وجهات نظر متراكبة في آن واحد، ولا تعتمد فحسب على وجهة نظر وحيدة، وتصبح الرواية عملاً كونياً من خلال تناول ما تم تسميته بالكتابة غير المشروطة والتي تمكن الفنان من إظهار كل ما هو ملحمي وغنائي وتراجيدي وكوميدي في محاكاة ساخرة حقيقية لجميع الأنواع الأدبية، وقد أضفى ثريانتس على رواية دون كيخوته طابع البرلسك أو المحاكاة الساخرة، ولكن شخصية بطله ما لبثت أن ازدادت عمقاً وغدا العمل نقداً للحياة (فريد، 2004م، ص229). وعلى الرغم من أن هدفها هذا التهكمي يقربها من الموروث الكلاسيكي وعلى الرغم من واقعية شخصياتها وخاصة سانشو بانزا، الشخصية الخيالية الثانية في الرواية بعد شخصية الفارس دون كيخوته، وتعد الرواية زاخرة بالقصص الغريبة والمغامرات ولقد نحى ثريانتس المنطق جانباً وترك العنان لخياله الطليق وضمم دون كيخوته بإخلاص على جعل العالم مكاناً أفضل، إنه نموذج المثالي الذي يرتطم بالواقع ، تقوم الرواية على المقابلة بين الشجن والفكاهة ، العاطفة والتهكم ، الواقع والخيال ، المجرى والعيني ، الطبيعي وما فوق الطبيعي ، الديني والدينيوي ، الروحي والجسدي ، كلها عناصر تلتقي في الوعي وتصنع الخبرة، كذلك تقوم مقابلة رئيسية بين شخصيتي دون كيخوته وسانشو بانزا شخصيتين خياليتين من نسج خيال الكاتب وبمشاركة بعض شخصيات الرواية الأخرى فالأول شجاع لا يخشى شيئاً، ولا ترهبه كارثة، متهور إنه يظل سيد إسبانيا بسيطاً نبيلاً، ذو وجه كئيب وشجاعته هي شجاعة القديسين والشهداء والإسبان ويمتاز بالمثالية والمزاجية ، وسانشو بانزا على النقيض من ذلك ونموذج الرجل العادي العادي والعملي، فالأكل والشرب يشغلان مكاناً عالياً في سلم قيمه ، وهو أقرب الى عالم الواقع والحس المشترك ، ويعتبران صورة مركبة للشخصية الإسبانية وأدي التناقض بينهم الى ظهور صورة للإنسان ليست إسبانية فقط بل عالمية ،وقد تجلت عبقرية ثريانتس في عملية انتقاء بطله ذاتها ، في انتقاء الفارس الذي يعتقد أنه في مهمة لتصحيح شرور العالم، يأخذ رمحه ودرعه وخوذته المكسورة ويصعد حصانه الصعب Rocinante، ويخرج إلى العالم، بعد سلسلة من المغامرات الكارثية، يعود إلى قريته بعد أن تعافى من جروحه ، وتابعه

الدراسات المرتبطة:

وهي تتضمن سرد لأهم الدراسات والبحوث العلمية التي لها صلة وثيقة بموضوع البحث، وذلك من خلال تعليق خاص بكل دراسة، من حيث عنوانها وما تتضمنه وما هدفت إليه وأهم نتائجها، وتعليق حول مدى الاستفادة في الدراسة الحالية المختلفة، فكانت هناك بعض الدراسات التي تناولت دور المضمون الأدبي كمصدر إبداع للفنان التشكيلي، وأخرى تناولت الرسوم التوضيحية الأولى لرواية دون كيخوته.

قد تناولت عواطف صلاح عبد العال حسن في **دراسة رسالة ماجستير بعنوان: "المضمون كمصدر للإبداع التشكيلي في مجال التصوير القصصي"**، 2007م، ان للتصوير القصصي دور ثري من خلال العملية الإبداعية وذلك بالتعامل مع المحتوى الأدبي كمصدر إلهام ، وأنه أحد أنواع التصوير الذي يحوي أبعاداً أدبية حيث يعتمد علي اختيار لحظة أو مشهد ما ليعبر عن المضمون الأدبي ، فإضافة الصورة يكتسب العمل الأدبي بعداً جديداً، أرحب وأعق، يتأكد مع جماليات الصورة الفنية لما تحويه من علاقات تشكيلية، تبعد شكلاً معبراً عن المضمون الأدبي، يكون بمثابة حلقة اتصال بين طرفي العملية الإبداعية بين "الأديب والمتلقي"، كما أضافت ان للمضمون الأدبي أهمية وتأثير كمصدر للإبداع التشكيلي ، وأنه يمكن للمصور القصصي أن يتعامل مع المحتوى الأدبي كمصدر لإلهامه الفني دون تحديد للإبداع، ومن هنا أكدت الدراسة إن القصة كعمل أدبي هي مزيج بين إبداع الأديب وإبداع الفنان وان كان إبداع الفنان هو التحام بين إبداعه الذاتي ومضمون ما أبدعه الأديب.

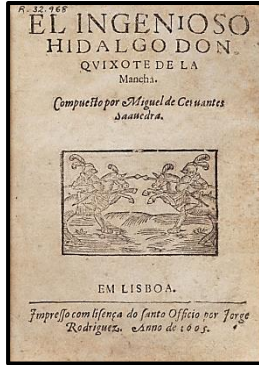
يستفاد من هذه النتائج في الدراسة الحالية توضيح مدى مساهمة الصورة كعنصر تثقيفي مرئي، كما طبقت أهمية التصوير القصصي في إثراء العمل الأدبي "دون كيخوته" في كل نسخته وترجماته عبر القرون من خلال الأعمال الفنية خصوصاً الرسوم التوضيحية، ومن هنا توصلنا الى أنه قد تجاوزت تأثير الشخصية الأدبية دون كيخوته حدودها النصية، وليس غريباً عليها أن تفتح المجال أمام الفنانين التشكيليين بفرشهم وأزاملهم باختلاف اتجاهاتهم وأساليبهم الفنية منذ ظهورها وعبر القرون وحتى وقتنا هذا، مثلما كان يتسابق عليها الأدباء بأقلامهم، فصورة الفارس بطل الرواية تحمل على أعمال الفكر منذ اللحظة الأولى، ففي هذه الشخصية تختلط الروحانية بالمثالية، وتزدحم المعاني والصور، فهو شامخ بقامته العديدة ورمحه الطويل ووجهه النحيل الحزين يجوب الآفاق فوق صهوة جواده الهزيل

في كبرياء، وإن كان ثريانتس قد وصف بعض تقاطيع وجهه، ومن هنا كل قارئ يتصوره حسب ما تخيلته، ويتناول كل فنان حسب رؤيته الفنية، فمنهم من يتخيله بلحية ومنهم بدون لحية وبشوارب مسترسلة وغيرهم تصوره مجزوز الشارب وان اتفقوا جميعاً على أنه قاحل، فيختلف التصور الفني باختلاف رؤية وتفسير الفنان للشخصية، بعد وقت قصير من نشر الطبعة الأولى من الجزء الأول من دون كيخوته عام 1605م، حاول الرسامون والحفرون إعادة إنتاج كل من الشخصيات وبعض المشاهد الأكثر رمزية في الرواية، سرعان ما ألهمت تحفة ثريانتس فناني الباروك من جميع أنحاء أوروبا لإصدار رسوم توضيحية عن النسخ المطبوعة منها، ان الرسم التوضيحي للكتاب ليس مشروعاً بسيطاً ولكنه يجبر الفنانين على اتخاذ القرارات وإعادة تفسير الكلمة المكتوبة. على الرغم من أنهم لا يرغبون صراحة في القيام بذلك، فإن عملية إنشاء الصور تفرض الحاجة إلى الاختيار. على سبيل المثال، لا يجب عليهم تحديد حلقات القصة التي سيتم تمثيلها فحسب، بل يجب عليهم أيضاً تحديد كيفية القيام بذلك. في حالة دون كيخوته، يكون المرور من نص إلى صورة أكثر تعقيداً بالنسبة للفنان بسبب الصعوبات في التوصل إلى اتفاق حول معنى الرواية، التي يتقاسمها ويختلف عليها النقاد، حيث توجد علاقة بين قراءة النص الأدبي وابتكار العمل التشكيلي المصور، وهناك تبادل بين كلا من الكاتب والفنان فالكاتب يعبر عن المضمون الأدبي من خلال أدواته الفنية إما الفنان فيعبر عما سرده الكاتب وقصده من خلال أدواته التشكيلية.

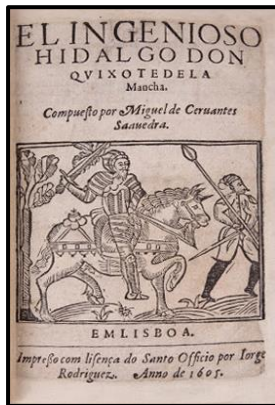
بينما تختلف هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في ميدان البحث، حيث تبحث الدراسة الحالية في استلهام رواية دون كيخوته في فنون الكتاب من خلال النسخ الأولى للرواية في القرن السابع عشر وتناول الرسوم التوضيحية فيها، بينما تقتصر هذه الدراسة المرتبطة بالأعمال الفنية للرواية بداية من القرن الثامن عشر ولم تتطرق للإرهاصات الأولى من الأعمال الفنية لها.

اما في دراسة دايل بي جيه راندال DALE B. J. RANDALL و جاكسون سي. بوسويل JACKSON C. BOSWELL **كتاب بعنوان: "ثريانتس في القرن السابع عشر، إنجلترا- INSEVENTEENTH CENTURY ENGLAND"**، جامعة أكسفورد، 2009م ، وفيما يتعلق بالإصدارات المطبوعة من دون كيخوته خلال القرن السابع عشر، فأوضحت الدراسة أن الرسوم التوضيحية الأولى التي أدخلها المصممون كانت في أضيقت الحدود تماماً، ولم تحتوي النسخة الأولى من الجزء الأول والجزء الثاني للرواية عام 1605 و 1615م،

أقدم طريقة معروفة للطباعة البارزة، وكان رسم يصور دون كيخوته في يده سيفًا، مثبتًا على حصانه Rosinante، مسبوقةً بتابعه سانشو بانزا على الأقدام، وهو يحمل رمحًا. هذا الحفر الخشبي هو جزء من صفحة العنوان للنسخة التي قام بطبعتها Jorge Rodriguez شكل رقم (4,3).

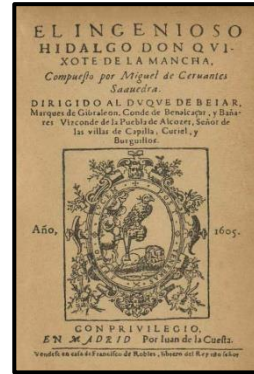


شكل رقم (3) - خورخي رودريغيز Jorge Rodriguez - الغلاف الأول للجزء الأول من رواية دون كيخوته، الطبقات الاحتياطية لشبونة، 1605م.

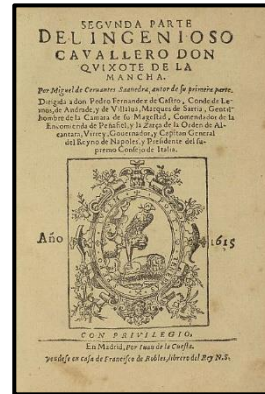


شكل رقم (4) - خورخي رودريغيز Jorge Rodriguez - الغلاف الثاني للجزء الأول من رواية دون كيخوته، الطبقات الاحتياطية لشبونة، 1605م. وفي دراسة رسالة دكتوراة بعنوان: "صورة لامتنشا في الرسوم التوضيحية لدون كيخوته LA IMAGEN DE LA MANCHA EN LAS ILUSTRACIONES DE EL QUIJOTE." لجيمينز جيمينز JIMÉNEZ، تم الاستفادة منها للعثور على نقطة البداية لما يمكن أن نعتبره رسماً توضيحياً محددًا للكتاب في الطبعة الفرنسية للجزء الثاني المنشور في باريس عام 1618م، بواسطة فرانسوا دي روسيه François de Rosset، وسيتم استخدامها لاحقاً في النسخة الإنجليزية في لندن عام 1620م بواسطة توماس شلتون Tomás Shelton، وكانت منفذة بطريقة الحفر على النحاس، تم الرسم بواسطة الفنان الفرنسي ليونارد جوتييه Léonard Gaultier (1561-1635م)، والحفر من خلال الحفار الإنجليزي رينولد إلستراكة Renold Elstracke (1570-1625م)، وفيها يظهر دون

على أي من الرسوم فقط ختم الناشر خوان دي لا كويستا Juan de la Cuesta، ظهر على غلافه، مصحوباً بنصوص بأحرف وأحجام مختلفة شكل رقم (2,1).



شكل رقم (1) -خوان دي لا كويستا- غلاف الطبعة الأولى من الجزء الأول 1605م من رواية دون كيخوته -مدريد- إسبانيا.



شكل رقم (2) -خوان دي لا كويستا- غلاف الطبعة الأولى

من الجزء الثاني 1615م من رواية دون كيخوته -مدريد- إسبانيا. كما ذكرت سيلفيا كوبيلو Silvia Cobelo في دراسة بحث منشور بجامعة ساو باولو بعنوان: "الترجمة المتأخرة لدون كيشوت إلى البرتغالية La traducción tardía del Quijote al portugués," 2013، إن أغلفة الإصدارات المقرصنة المصنوعة في أرغون والبرتغال تستخدم بالفعل صوراً شائعة، يمكننا أن نقدر أغلفة الإصدارات البرتغالية الأولى التي تم إجراؤها في لشبونة عام 1605م، وجميعهم قراصنة، بفارس وتابع لا يبدو أنهما مستوحيان تماماً من دون كيخوته وسانشو بانزا. في الواقع، هذه ليست رسومات تم إنشاؤها حصرياً لكتاب ثريانتس، بل هي عبارة عن كتل مطبعية تم استخدامها في أعمال أخرى، وخاصة الروايات الرومانسية وروايات الفروسية، ليس هناك شك في الطبيعة الاحتياطية لهاتين الطبعتين منذ ذلك الحين، كما استنكر ثريانتس نفسه، وأول رسم إيضاحي معروف منهم هو حفر خشبي خشن وهو

دون كيخوته على الغلاف في المقدمة على حصانه روسينانتي صغير الحجم ، بدون أثر للشعر على وجهه، وتلك الملابس الرائعة مع الخوذة المحاطة بعمود كبير من الريش ، والدروع الكاملة والياقة الضخمة التي تزين صدره لا تتركه للحظة في جميع الرسوم التوضيحية في العمل، ويظهر سانشو بانزا ذو الرأس الكبير إلى جانب واحد في الخلفية مع حمارة وله لحية كثيفة شكل رقم (6) ، ومن رسوم هذه النسخة أيضاً التي تم تصويرها هي معركة طواحين الهواء المسرودة في الفصل الثامن من الجزء الأول ، في المقدمة يركب دون كيخوته على روسينانتي حيث طعن شراع الطاحونة دون كيخوته وكسر رمحه فيها وسقطت روسينانتي، و في الخلفية، صد سانشو على حمارة وقام بإيماءات شكل رقم (7).



شكل رقم (6) - غلاف الطبعة الألمانية الأولى من الجزء الأول من رواية دون كيخوته - حفر من نحاس - أبيض وأسود - فرانكفورت - 1648م.



شكل رقم (7) - معركة طواحين الهواء - حفر من نحاس - أبيض وأسود - فرانكفورت - 1648م.

بينما توصل لوسيا ميجياس وخوسيه مانويل Lucía Megías, José Manuel في دراسة مقال بعنوان: " النماذج الأيقونية لدون كيشوت، القرنين السابع عشر والثامن عشر Los modelos

كيخوته Don Quixote على حصانه روسينانتي، ولحق به سانشو Sancho الى الورا على حمارة ، بينما يمكن رؤية طاحونة في الخلفية على رأس الجبل ، كلاهما يتميز بشكل مثالي، دون كيخوته باعتباره فارساً ضالاً ، والحوض على رأسه و تظهر هذه الصورة من ناحية الأهمية التي يكتسبها سانشو بانزا، مقارنة بسيدته في التصميم والحجم ، بقبعة ريش وسيف على حزامه ويبدو كأنه رفيق لسيدته ، وبتفاصيل نرى فيها نظرتة الثاقبة التي تتوقد فيها المهارة ومظهره ينم عن سخرية مازكة لا تتوافق مع شخصيته المسالمة والخائفة المعروفة في الرواية، والفرق في صفحة العنوان بين النسختين الفرنسية والإنجليزية ، أنه في الثانية تم تضمين قاعدة التمثال بالعنوان بطريقة تجعل التمثيل بأكمله يبدو منحوتة كلاسيكية للفروسية شكل رقم (5)



شكل رقم (5) - ليونارد جوتيه- غلاف الطبعة الإنجليزية من الجزء الأول من رواية دون كيخوته - حفر من نحاس - أبيض وأسود - 16.2X11.4 سم - لندن - 1620م

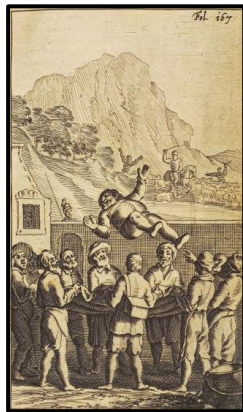
كما استنتج الباحث في هذه الدراسة أنه شيئاً فشيئاً، ومع بداية ظهور الترجمات الأكثر للرواية وبلغات مختلفة (فرنسية، ألمانية، إنجليزية، هولندية) أخذت الرسوم التوضيحية للرواية طريقها للظهور بشكل أكبر، وكان يتم التركيز فيهم على الجوانب الأكثر سخرية أو الاستبدادية، مما يعطينا فكرة عن كيف كان ينظر الى الرواية في البداية في مختلف المجتمعات.

كما هدفت الدراسة الى ان الترجمة الأولى الى الألمانية التي تم تحريرها عام 1648م بواسطة توماس ماتيس Thomae Matthiae Götzen، وهي ترجمة لأول 22 فصلاً من الجزء الأول للرواية، هي الطبعة الأولى التي تحتوي على رسوم تمثل حلقات محددة كوميدية ساخرة من مغامرات دون كيخوته، تحتوي هذه الطبعة على غلاف و4 رسوم في صفحات داخلية، وتم تنفيذ هذه الرسوم من خلال الحفر على الألواح النحاسية، تم تصوير الفارس



شكل رقم (9) - جاكوب سافري Jacobu Savery - واجهة الطبعة الهولندية الأولى من الجزء الثاني من الرواية - - حفر من نحاس- أبيض وأسود- 11.5×6.5سم - هولندا 1657م.

كما أوضحت الدراسة تميز الرسوم التوضيحية لسافري بأنها تجمع بين أكثر من حادثة في رسم واحد، مشهدان مختلفان في نفس اللوحة، مشهد سانشو بانزا وهو يُلقى في بطنية في ساحة النزل وذلك المشهد من الفصل السابع عشر من الجزء الأول؛ وفي الخلفية يهاجم دون كيخوته قطع الأغنام، مشهد من الفصل الثامن عشر، وسيتم استخدامه في أكثر من طبعة. شكل رقم (10)، يمكن رؤية نفس الأسلوب أيضًا في الرسم التوضيحي لـ Savery في جميع الطبعات الثلاثة التي تصور اللحظات الختامية للجزء الأول من الفصل الثامن، ثلاثة مشاهد مختلفة في نفس اللوحة في الخلفية المشهد الأول دون كيخوته يهاجم طواحين الهواء ويحاول سانشو بانزا إيقافه، وفي الوسط مشهد لتعرض سانشو بانزا للضرب على يد شابين من الرهبان، وفي المقدمة مشهد دون كيخوته يقاتل ضد ببسكايان the Basque، بينما تراقبهم سيدة من الباسك من عربتها شكل رقم (11).



شكل رقم (10) - جاكوب سافري Jacobu Savery - رسم لصفحة داخلية من الطبعة الهولندية الأولى من الجزء الأول أكثر من مشهد - حفر من نحاس- أبيض وأسود - 11.5سم × 6.7سم - هولندا - 1657م.

تظهر أول نسخة مصورة كاملة من رواية دون كيخوته لثربانتس باللغة الإسبانية الأصلية ولكن في الترجمة الهولندية، التي طبعت في دورديخت عام 1657م، وترجمها لامبرت Lambert van de Bosch، منها أتت الصورة النمطية للشخصيات الخيالية التي ستتكرر وتنسخ مرات لا تحصى، احتوت على ما يصل إلى 24 رسمًا توضيحيًا، بالإضافة إلى واجهتين، تم تنفيذهم بالحفر على النحاس وكان جاكوب سافري Jacobu Savery (1666-1617) المسؤول عن الحفر والطباعة في عام 1662م، أعيد استخدام 16 من رسوماته التوضيحية في طبعة إسبانية طبعها جان موميرت Jan Mommaert في بروكسل في بلجيكا، تركز الرسوم التوضيحية للطبعات الثلاثة حتمًا على العمل السردي مع التركيز على الحلقات المادية هذا يدعم الحجة القائلة بأنه في القرن السابع عشر، تمت قراءة دون كيخوته إلى حد كبير كعمل ترفيهي، وسوف يفسر دون كيخوته على أنه كتاب شجاع آخر، على الرغم من أنه سيكون له تأثير أكبر على وظيفته الترفيهية. في الواقع، سيضع الأسس لإرادة تعليمية لقراءة دون كيخوته. كما تناولت الدراسة أنه في الواجهة الأولى تم تصوير دون كيخوته في مركز المشهد راكبًا على روسينانتي ويرتدي حوض الحلاقة وبجانبه سانشو بانزا يحتضن رأس حماره وفي الخلف ميدالية عليها صورة دولسينيا وعلى الجانبين تماثيل أماديس دي غولا Amadís ورولدان Roldán شكل رقم (8)، اما في الواجهة الثانية فتستند إلى الجزء الثاني من دون كيخوته، تم تصويره في مقدمة اللوحة مثل فارس الأسود (يظهر بجانبه أسد) ، يحمل سيفًا ودرعًا بوجه الشمس، وفي الخلفية من أعلى جدار نصف دائري ، توجد دولسينيا في الجزء الشمالي بكونها امرأة فلاحية عجوزة ، وسانشو على اليمين، بينهما ميدالية عليها صورة ميرلين شكل رقم (9)، وتم استخدامه هذه الواجهات وحفرها جديدًا مرات عديدة في طبعات مختلفة مثل طبعة بروكسل 1662م.



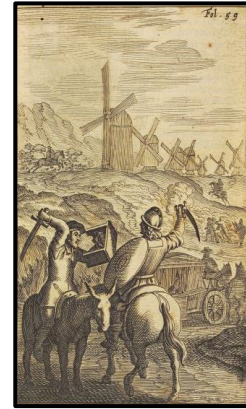
شكل رقم (8) - جاكوب سافري Jacobu Savery - واجهة الطبعة الهولندية الأولى من الجزء الأول للرواية - حفر من نحاس - أبيض وأسود - 11.5سم × 6.5سم - هولندا - 1657م.

وهدفت دراسة مقال بعنوان " التاريخ الموقر للفارس الشهير دون كيشوت دي لا مانتشا (1699) The Much Esteemed History of the Ever-Famous Knight Don Quixote de la Mancha " لخوسيه مانويل José Manuel ولوسيا ميغياس Lucía Megías، الى تناول الرسوم التوضيحية الخاصة بأول طبعة إنجليزية صدرت عن لندن عام 1687م، و طبعتها توماس هودجكين Tomas Hodgkin، حيث أوضحت الدراسة أنها كانت تتضمن واجهة أمامية، و14 رسماً محفوراً من ألواح النحاس اثنان في كل صفحة، بعضهم من تصميمات Bouttas Savery وتم استخدامها عدة مرات في طبعات مختلفة ولكن باختلاف أعدادهم، تم تصوير الواجهة الموجودة في الطبعة الإنجليزية لتوماس بشكل مفصل ففي المقدمة دون كيشوته يرتدي بفخر الحوض الذي ادعى أنه من حلاق مرتبك مثل خوذة مامبرينو، بينما يرتدي سانشو قبعة ألدونزا لورنزا، وتوجد دولسينا في الخلفية تُطعم الخنازير، صورة مفصلة جداً تحتوي على زخارف مهمة للتفسير البصري مثل وجود شكل طاحونة الهواء تشير الى الريف الإنجليزي على أنه مكان لمغامرات دون كيشوته شكل رقم (13).



شكل رقم (13) – واجهة أمامية للطبعة الإنجليزية ل توماس هودجكين - حفر- أبيض وأسود - 17×26.5سم - لندن - 1687م.

وتستمر انتاجات الطبعات المزودة بالرسوم التوضيحية، فمنذ البدايات الأولى تقريباً، تم توضيح قصة دون كيشوته. ومن هناك لم يتوقف عن كونه مصدر الهام للفنانين، من خلال جميع الوسائل المتاحة لهم، مجهولين ومشاهير، في كل عصر: نجد بوضوح في أول مرحلته المصورة، الرسوم التوضيحية التي رافقت وسترافق الكتاب، أولاً صورة على Cover، ثم بعض الرسوم التوضيحية الفردية للحلقات الرئيسية من مغامرات البطل، حتى الوصول إلى طبعات القرن التاسع عشر المزودة بمئات من



شكل رقم (11) – جاكوب سافري Jacobu Savery - رسم لصفحة داخلية من الفصل الثامن للجزء الأول- يمثل أكثر من مشهد – حفر من نحاس – أبيض وأسود - 11.5سم × 6.7سم – هولندا – 1657م.

أما مارك ديفيد ماكجرو MARK DAVID MCGRAW تناول في دراسته رسالة دكتوراة بعنوان : " كيشوت العالمي: اعتمادات أيقونة أدبية THE UNIVERSAL QUIXOTE: APPROPRIATIONS OF A LITERARY ICON " ، 2013م ، أنه بين عامي 1672 و1673 نُشر مجلدا الطبعة الإسبانية في بلجيكا في أنتويرب وتم توسيع الرسوم التوضيحية فيها إلى 34 رسماً، واجهتين و32 رسم لصفحات داخلية، 16 منها من طبعة بروكسل 1662م وتم إضافة 16 حفر جديد بواسطة فريدريك بوتاتس Frederick Bouttats، الرسوم التوضيحية المضافة إلى قد تتفوق تقنياً على تلك الموجودة في طبعات هولندا 1657م وبروكسل 1662م. يظهر ذلك في الرسم التوضيحي للمشهد الممثل للقاء دون كيشوته مع دولسينيا المسحورة، نتيجة حيلة سانشو بانزا، يتضمن نفس الشخصيات، ولكن أكثر حيوية وتعبيراً. يظهر كل من الفارس وتابعه راكعين تكريماً للسيدة دولسينيا، وفي الخلفية فتيات الفلاحات الثلاثة يهرين وإحداهن تسقط من على حمارها شكل رقم (12) على عكس الرسم التوضيحي ل Savery في عام 1657م.



شكل رقم (12) – فريدريك بوتاتس - صفحة داخلية لطبعة أنتويرب الإسبانية دون كيشوته يقابل دولسينيا - حفر على نحاس - أبيض وأسود - 14.5×9سم - بلجيكا- 1672م

أن نرى كيف كانت تفسر الرواية في البداية وباختلاف المجتمعات.

المراجع:

الكتب العربية

- (1) أبو ملهم، نجيب، آخرون (1947م)، سرفانطيس أمير الأدب الإسباني، مطبعة المخزن، تطوان، المغرب.
- (2) الرملي، محسن (2015)، الأدب الإسباني في عصره الذهبي، دار المدي، بغداد.
- (3) بدوي، عبد الرحمن (1998م)، دون كيخوته، الجزء الأول، دار المدى للثقافة والنشر، أبو ظبي.
- (4) ديورانت، ويل وإيريل (1992م)، قصة حضارة، بداية عصر العقل، دار الجيل، بيروت.
- (5) فريد، ماهر شفيق (2004م)، قطوف من أمهات الكتب، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر.
- (6) كامب، جان، وآخرون (1956م)، الأدب الإسباني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.
- (7) مرعي، فؤاد (1996م)، مدخل الى الأدب الأوروبية، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوريا.
- (8) وهبة، غريبال (1989م)، دون كيشوت بين الوهم والحقيقة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

الكتب الأجنبية

- Ashbee, h.s. (1895), An Iconography of don Quixote, the university press, ABERDEEN, London.
- lenaghan, Patrick, others (2003), Imágenes del Quijote (10 modelos de representación en las ediciones de los siglos XVII a XIX, Museo Nacional del Prado, Spain.
- Randall, dale B. J., others (2009), CERVANTES IN SEVENTEENTH-CENTURY ENGLAND the Tapestry Turned, Oxford University Press Inc., New York.
- Smith, Bradly (1975), Spain history in art, Doubleday & Company, Inc, New York.

الرسائل العلمية العربية

- (13) حسن، عواطف صلاح عبد العال (2007م)، المضمون كمصدر للإبداع التشكيلي في مجال التصوير القصصي، رسالة ماجستير، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، مصر.

الرسائل العلمية الأجنبية

- (14) • Daniel Urrabieta Vierge (2015), La imagen de la mancha en las ilustraciones de el quijote. Tesis Doctoral, Universidad de Castilla-la Mancha, Facultad de letras de ciudad real, Departamento de historia del arte, España.
- (15) • Mark David McGraw (2013), The Universal Quixote: Appropriations of A Literary Icon, Doctoral dissertation, Texas A & M University. Available electronically.

النقوش، وتتميز رسوم كل فترة وتختلف عن ما يسبقها وذلك لعدة أسباب منها اختلاف تفسيرات وترجمات الرواية بشكل دائم، وأيضاً اختلاف وجه التقييم للنص الأدبي، في بدايات دون كيخوته تناولته الفنانين من وجهات نظر سخرية وفكاهية ولكن بحلول القرن الثامن، حدثت تغييرات كبيرة في تفسير دون كيخوته، مصحوبة بإعادة تقييم لثربانتس، أدى ظهور الطبقات الفاخرة التي تحتوي على السير الذاتية للمؤلف بالإضافة إلى الرسوم التوضيحية الوفيرة للحلقات ذات الواجهات الاستعدادية والخرائط، إلى تحويل الكتاب الفكاهي إلى كتاب ضخم يصلح ليحل محله بجانب كلاسيكيات مثل هوميروس ودانتلي.

تحليل الفجوة:

من خلال عرض الدراسات المرتبطة بالبحث وجدت الباحثة أن هناك فجوة علمية تتعلق بالربط بين ظهور رواية دون كيخوته وأهمية فنون الكتاب في خلق إبداع مواز للنص الأدبي من خلال الرسوم التوضيحية الأولى والتي بدأت في الظهور بظهور الترجمات المختلفة للرواية منذ القرن السابع عشر، وقد لاحظت الباحثة أنه ليس هناك دراسات كافية تناولت العلاقة بينهم، لذا قامت بعمل بحث مرجعي والذي من خلاله توصلت لأهم المراجع العلمية التي تتعلق بالرسوم الأولى لرواية دون كيخوته ورصد الخطوات الأولى لظهورها وتطورها بعد نشر الرواية.

المداخل المقترحة:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المداخل كالتالي:

1. مدخل يعتمد على إظهار دور الرواية في التأثير على المجالات الفنية المختلفة.
2. مدخل يعتمد على رصد الحركة الفنية والأدبية في أوروبا.
3. مدخل يعتمد على القاء الضوء على الأعمال الفنية التي قدمت في الفترة الأولى بعد ظهور الرواية وأهم فناني الكتاب الذين قدمت الرواية من خلالها، وأساليبهم الفنية المختلفة، وطرق تنفيذ الرسوم الأولى.

وذلك من خلال مجموعة من المنطلقات هي:

المنطلق الفكري: يرتكز هذا المنطلق الى تحديد المداخل

الفنية والأدبية في موضوع (رواية دون كيخوته) كمدخل

ومنطلق للاستفادة من الأبعاد الفكرية والأدبية للرواية في

اثراء الرسوم التوضيحية عنها.

المنطلق التشكيلي: يتم تطبيق الأعمال الفنية من خلال تحديد

أول النسخ والطبعات للرواية بلغات مختلفة، ومن خلالها يمكن

البحوث والمقالات

- 16) • José Manuel, Lucía Megías, J. A. G. Ardila (2009), The Much-Esteemed History of the Ever-Famous Knight Don Quixote de la Mancha (1699), Anales Cervantinos, Article vol. xli, Universidad Complutense, Madrid.
- 17) • Lucía Megías, José Manuel (2003), Los modelos iconográficos del Quijote. Siglos XVII-XVIII: II. De las primeras lecturas al modelo iconográfico holandés, Calambur, Atribución-NoComercial-SinDerivadas, España.
- 18) • Sílvia Cobelo (2013), La traducción tardía del Quijote al portugués, Faculdade de Filosofia, Letras e Ciências Humanas, University of São Paulo, Brazil.

سادساً: المواقع الإلكترونية

- 19) • <https://blogs.bl.uk/european/2016/03/the-early-illustrated-editions-of-don-quixote-the-low-countries-tradition.html>
- 20) • <https://www.britishmuseum.org/collection/term/BIOG28546>
- 21) • http://www.cervantesvirtual.com/portales/quijote_banco_imagenes_qbi/imagenes/?edicion=61
- 22) • <https://publicdomainreview.org/essay/picturing-don-quixote>
- 23) • <http://cervantes.dh.tamu.edu/dqiDisplayInterface/displayMidImage.jsp?edicion=8&image=1687-London-Hodgkin-01-002-f.jpg>
- 24) • <https://rbscp.lib.rochester.edu/3305>
- 25) • <https://www.britannica.com/art/printmaking/Printmaking-in-the-17th-century#ref28343>
- 26) • <https://bibliotecalazarogaldiano.wordpress.com/2015/04/22/la-noche-de-los-libros-2015/>
- 27) • <https://movio.beniculturali.it/bup/dacervantesacaramuel/it/260/incisori/show/66/212>
- 28) • <http://sensigloro.weebly.com/el-quijote-ilustrado-una-historia-en-imaacutegenes.html>